الرسالة

(١كورنثوس ٩: ٢–١٢)

يا إخوةُ إنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتُم في الرب* وهذا هو احتجاجي عندَ الذينَ يفحصونني* أَلعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نأكُلَ ونشرَبَ* أَلعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نجولَ بامرأةٍ أختٍ كسائرِ الرسلِ وإخوةِ الربِّ وصفا* أم أنا وبرنابا وحدَنا لا سلطانَ لنا أن لا نشتَغِلَ* مَن يتجنَّدُ قطُّ والنفقةُ على نفسِه. مَن يغرسُ كرمًا ولا يأكُلُ من ثمرِه. أو مَن يرعى قطيعًا ولا يأكُلُ مِنْ لَبَنِ القطيع* أَلعلّي أتكلَّم بهذا بحسبِ البشريَّةِ أم ليسَ الناموسُ أيضًا يقولُ هذا* فإنَّه قد كُتِبَ في ناموسِ موسى لا تكمَّ ثورًا دارسًا. أَلعلَّ اللهَ تُهمُّهُ الثيران* أم قالَ ذلكَ من لأجلِنا لا محالةَ. بل إنَّما كُتِبَ من أجلنا. لأنَّهُ ينبغي للحارثِ أن يحرُثَ على الرَجاءِ وللدارسِ على الرجاءِ أن يكونَ شريكًا في الرجاء* إن كنَّا نحنُ قد زَرَعنا لكم الروحيَّات أَفيكونُ عظيمًا أن نحصُدَ

التأله

التألّه تعبير لاهوتي قديم يُستعمل لوصف الحالة التي يصبح فيها الإنسان مثل الله. يقول الرسول بطرس في وصفه لهذه الحالة: «كما ان قدرته الإلهية قد وهبَتْ لنا كلَّ ما هو للحياة والتقوى... لكي تصيروا بها شركاءَ الطبيعةِ الإلهية» (٢بط ١: ٣و٤).

ماذا يعني أن نكون شركاء الطبيعة الإلهية، وكيف نختبر هذه الشركة؟ عندما تدعونا الكنيسة أن نكون مثل الله فهي لا تعني ان البشر يصبحون آلهة، أو مثل الله من حيث الطبيعة أو الجوهر. هذه هرطقة وأمر مستحيل. البشر كانوا بشرًا وسيبقون بشرًا، ولا يمكنهم «لبس» طبيعة الله. القديس يوحنا الدمشقي يقول ان كلمة «الله» في الكتاب المقدَّس لا تعني طبيعة الله أو جوهره، لأن لا أحد يستطيع إدراك جوهر الله ومعرفته. إنها تعني القدرات الإلهية، أي قوة الله ونِعَمِهِ التي ننالها في هذا العالم. كلمة الله في اليونانية، Theos، آتية من الفعل الذي يعني «ركض»، «رأى» أو «احترق»، وكلها تحمل طاقات وقدرات، ولا تشير إلى الجوهر.

في حديثه مع بعض القادة اليهود المرائين الذين كانوا يتهمونه بالتجديف وأرادوا رجمه لأنه إنسان ويجعل نفسه إلهًا، قال الرب يسوع: أليس مكتوبًا في ناموسكم (راجع مز ٦:٨٢) أنا قلت إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئكَ الذين صارت إليهم كلمة الله... فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدّف لأني قلت إني ابن الله» (يو ١٠: ٣٤–٣٦). طبعاً لا يستعمل الرب يسوع كلمة «آلهة» للإشارة إلى الطبيعة الإلهيَّة. نحن آلهة من حيث اننا نحمل صورته وليس طبيعته وجوهره.

التألّه يعني أن نصير أكثر فأكثر مثل الله بواسطة نِعَمِهِ الإلهية وقدراته الإلهية أي أن تَتَجلَّى فينا صورته الإلهية من جديد، أن نصبح قديسين. في الخلق، صُنِعَ الإنسان بحسب الطبيعة البشرية على صورة الله ومثاله (تك ١:٢٦). بكلام آخر، البشرية بحسب الطبيعة هي أيقونة الألوهة وصورتها. الصورة الإلهية موجودة في كل بشر، لكنها تشوهت مع الخطيئة ونحن سقطنا. مع تجسد ابن الله الذي أخذ بشريتنا عندما حلَّ في أحشاء مريم البتول بدأت عملية تجددنا على صورة الله ومثاله.

العدد ٢٠٠١/٣٣

الأحد ١٩ آب

تذكار الشهيد إندراوس ورفقته

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الحادي عشر

لقد منحنا الرب يسوع النِعَم والعطايا لكي نُستعاد في الملكوت ونصلح ما شوّهته الخطيئة. لذلك فإن الذين انضموا إلى يسوع عبر الإيمان والمعمودية بدأوا عملية إعادة خلق، كونهم تجددوا على صورة الله ومثاله. وهكذا يصبحون «شركاء الطبيعة الإلهية».

هذه النِعَم والعطايا الإلهية هي منحة مجانية للإنسان رغم عدم استحقاقه. إذ كيف يكون مستحقاً في حين انه عصى الله وفصل نفسه عن الله؟ النعمة الإلهية ضرورية للإنسان ولكنه لا يستطيع أخذها رغم إرادة الله. عليه أن يعمل لينالها. وهو يحتاج للنعمة الإلهية ليُفتَدى، وقد منحنا إياها الله بوفرة بابنه يسوع المسيح: «ولكن ليس كالخطيئة هكذا أيضًا الهبةُ. لأنه إن كان بخطيئةِ واحدٍ ماتَ الكثيرون فبالأولى كثيرًا نعمةُ اللهُ والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوعَ المسيح قد ازدادت للكثيرين» (رو ٥:١٥).

إذاً، لا بديل عن النعمة لخلاص الخطأة: «لا يقدرُ أحدٌ أن يُقبل إليَّ إن لم يجتذبهُ الآب» (يو ٦:٤٤)، «إن كان أحدٌ لا يولدُ من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يو ٣:٣)، و«لأن اللهَ هو العاملُ فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (في ٢:١٣). هذه الآيات تعكس حاجتنا للنعمة الإلهية «التي للمرضى تشفي وللناقصين تكمّل». بدونها لا نستطيع أن نتوب ونعود إلى الله أبينا.

الإنسان بحاجة إلى النعمة الإلهية، والله يمنحها بوفرة ولكنه لا يفرضها على أحد. لقد خلق الله الإنسان حرًا، على صورته، ويحترم هذه الحرية. طبعًا هو «يريد ان جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١تيمو ٢:٤)، ولكنه ينتظر إرادة الإنسان الحرَّة في تقبُّل النعمة المخلِّصة. يقف على باب قلبنا ويقرع بانتظار الجواب: «هأنذا واقفٌ على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي» (رؤ ٣:٢٠). ثمار نعمة الروح القدس هي «محبةٌ، فرحٌ، سلامٌ، طول أناةٍ، لطفٌ، صلاحٌ، إيمان، وداعةٌ، تعففٌ» (غلا ٥:٢٢و٢٣) واستيقاظ من سكرة الخطيئة ودعوة للتوبة، «لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف ٥:١٤).

في المعمودية يلبس الإنسانُ المسيحَ، الإلهَ الذي لبس جسدنا، وبها أُعطينا إمكانية اختبار التألّه من جديد، أي تحقيق معنى بشريتنا الأول في الملكوت. بوحدتنا مع المسيح نصبح بالنعمة ما هو لله بالطبيعة. في المعمودية نُخلق من جديد على صورة الله ومثاله، ويبقى علينا أن نحافظ على هذه الصورة عبر إيماننا العامل بالمحبة، والصلاة والصوم، والأهم عبر الاشتراك في جسد الرب ودمه لكي يثبت الرب فينا ونحن فيه. التألّه هو أن يشع نور الرب فينا وهذا لا يتحقق إلا بقدر التصاقنا به.

مدخل إلى رؤيا يوحنا

كتاب رؤيا يوحنا هو من أكثر الكتب المثيرة للجدل من جهة فحواه أو من جهة هدف كتابته أو من جهة طريقة قراءته في الجماعة المسيحيّة؛ فالبعض رأوا فيه نبوءة للمستقبل، والبعض الآخر قرأوه على أنه رسالة تعزية للمسيحيين الذين هم تحت الاضطهاد، ومنهم من اعتمدوه أساسًا لعقائدهم (الهرطقة الألفيّة). لذلك أبدى أباء الكنيسة في القرنين الثاني والثالث حذرهم تجاه استعماله، ولم يُقبل إلا في فترة لاحقة، ومع أنه قُبل في الكنيسة إلاّ أنه لم يُستعمل في الليتورجيا. وكان

مِنكُمُ الجسديَّات* إنْ كانَ آخرونَ يشتركونَ في السُلطان عليكم أَفلَسنا نحن أَولى. لكنَّا لم نستَعملْ هذا السلطانَ بل نحتَمِلُ كلَّ شيءٍ لئَلاَّ نُسبّبَ تعويقًا ما لبِشارةِ المسيح.

الإنجيل

(متى ١٨:٢٣-٣٤)

قال الربُّ هذا المَثَلَ: يُشبهُ ملكوتُ السمواتِ إنسانًا مَلِكًا أراد أن يحاسبَ عبيدَهُ* فلمَّا بدأَ بالمحاسبةِ أُحضِرَ إليهِ واحدٌ عليهِ عشْرَةُ آلافِ وزنةٍ* وإذ لم يكنْ لهُ ما يوفي أَمَرَ سيّدُهُ أن يُباعَ هو وامرأتُهُ وأولادُهُ وكلُّ ما لهُ ويفَى عنهُ* فخرَّ ذلكَ العبدُ ساجدًا لهُ قائلاً تمهَّل عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لكَ* فرَقَّ سيّدُ ذلك العبدِ وأطلقَهُ وتركَ لهُ الدَّينَ* وبعدما خرجَ ذلك العبدُ وجدَ عبدًا من رُفقائه مديونًا لهُ بمئةِ دينارٍ فأمسكَهُ وأخذَ يخنُقهُ قائلاً أوفِني ما لي عليك فخرَّ ذلك العبدُ على قدميه وطلب إليه قائلاً تمهَّل علي فأوفيك كلَّ ما لك* فأبى ومضى وطرحَهُ في السجن حتى يوفي الدين* فلمَّا رأى رُفقاؤهُ ما كان حزِنوا جدًّا وجاءوا فأعْلَموا سيّدهم بكل ما كان* حينئذٍ دعاهُ سيّدُهُ وقال لهُ أيُّها العبدُ الشرير كلُّ ما كان عليك تركتُهُ لك لأنَّكَ طلبْتَ إليَّ* أفَما كان ينبغي لك أنْ

ترحَمَ أنتَ أيضًا رفيقَك كما رحمتُك أنا* وغضِبَ سيّدُهُ ودفعهُ إلى المعذِّبين حتى يوفِيَ جميعَ ما لهُ عليهِ* فهكذا أبي السماويُّ يصنعُ بكم إن لم تَتْركوا من قلوبكم كلُّ واحدٍ لأخيهِ زلاَّتِهِ.

تأمل

«هكذا سيعاملكم أبوكم السماوي إن لم يعفُ كلٌّ منكم عن أخيه من صميم قلبه». إذا أنعمنا النظر في هذا المثل، نجد فيه إفادة عظمى. في الواقع، هل يضاهي غفراننا لأمثالنا غفران الله لنا؟ نحن نعفو عن أمثالنا من عِباد الله، أما الله عينُه فيعفو عنَّا نحن عبيده.

انتبه إلى هذه النقطة: ليس مكتوبًا «إن لم تغفروا للناس زلاَّتهم» وحسب، بل «إنْ لم يغفرْ كلٌّ منكم لأخيه زلاَّته من صميم الفؤاد». لاحظْ كيف يريد المسيح أن يرتاح قلبنا بالسلام والطمأنينة، وتبتعد روحنا عن كل قلق، محرَّرة من الشهوات، وأن نُظهرَ للقريب خالص المودَّة.

الجدير بالذكر ما قالَه المسيح في ظرفٍ آخر: «إنْ لم تغفروا للآخرين زلاَّتهم، فلن يغفر لكم الآب السماوي زلاَّتكم». فلا نزعمنَّ إذاً أننا نمنُّ على غيرنا بعفونا عنهم، فالإفادة هي لنا نحن. وإن رفضنا العفوَ عنهم فلا يلحقُ بهم أي سبب رفض هذا الكتاب في البدء الخوف من سوء استعماله.

+ المؤلف:

في التقليد الكنسي كان الشهيد يوستينوس (+١٦٧) أول من اعتبر أن يوحنا الرائي ويوحنا ابن زبدى هما الشخص نفسه. كما أن إيريناوي (القرن الثاني) يُرجع كتاب الرؤيا وأنجيل يوحنا ورسائله إلى الرسول يوحنا تلميذ الرب يسوع. وتجدر الملاحظة إلى أن إسم المؤلف يوحنا ذُكر فقط في كتاب الرؤيا (رؤ ١: ١، ٤، ٩؛ ٨:٢٢).

+مكان التأليف وزمانه:

عندما تلقى الرؤيا كان يوحنا في جزيرة بطمس (رؤ ١:٩)، وقد كانت إقامتها فيها «من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح». ويظهر أنه نُفي إلى هذه الجزيرة بسبب معارضته عبادة القيصر. ولا نعلم ما إذا كان يوحنا قد كتب كتاب الرؤيا وهو بعد في الجزيرة إذ إن الفعل الماذي «كنتُ» (١:٩) يدلّ على أن إقامته هناك هي حدث من الماضي.

أما في ما يتعلق بزمان التأليف فيُستدل عليه من الوضع في الكنائس التي يتوجّه إليها في كتابه. والتشديد على عبادة قيصر مع ما رافقها من صراعات في نهاية مُلك الإمبراطور دومتيانوس تشكّل الإطار التاريخي لكتاب الرؤيا، فيكون بالتالي قد كُتب على الأرجح ما بين سنتي ٩٠ و٩٥م.

+ النوع الأدبي:

نوعه رؤيوي يهودي، ويظهر كأنه يعطي موقفاً سلبياً من الدولة الرومانية. والكاتب شخص يهودي في وضع اضطهاد يكتب عن آخرة العالم.

بعد دمار الهيكل وسقوط أورشليم ظهرت لدى اليهود والمسيحيين على السواء كتابات كثيرة من النوع الرؤيوي أهمّها كتاب عزرا الرابع وكتاب باروخ الثاني وكتاب هرماس الراعي الذي ظهر في القسم الثاني من القرن الميلادي الثاني. وهذا النوع الأدبي له قواعد خاصة وذهنيّة خاصة ووضع حياتي خاص، كما هي الحال في كتاب الرؤيا، وهو الإضطهاد، وفي وضع الإضطهاد هذا يحاول الكاتب أن يتحدّث إلى المضطَهد ليقول له «إن الله ما زال يمسك بزمام الأمور وهو سيأتي بالتبرير للمضطهد في آخر الأزمنة».

من ميزات كتاب الرؤيا أنه يستعمل الرموز، وأحيانًا يفسرها. من هذه الرموز الأعداد والألوان والحيوانات. والرموز كانت معروفة في عصره، وأكثرها مأخوذ من العهد القديم، ولكن ضمن استعماله في الأدب اليهودي في القرن الأول. الرموز في غالبيّتها مأخوذة بشكل خاص من ثلاثة كتب من العهد القديم هي حزقيال وزخريا ودانيال (لذا لا يمكننا فهم كتاب الرؤيا بدون معرفة هذه الكتب)، وبقيّة الرموز مأخوذة من العالم الروماني الهلّيني ومن ميثولوجيّته (بشكل خاص رؤ ١٢). من الأمثلة على معاني بعض الرموز: اللون الأبيض يدّل على الغلبة والنقاوة، والأحمر يدّل على القتل والعنف ودم الشهداء، والأسود يدّل على الموت والكفر. ويدّل العدد ٧ على الملء والكمال، العدد ٦ (٧−١=٦) على النقص، والعدد ٣ ونصف (نصف السبعة) على النقص والألم وزمن المحنة والاضطهاد. وهذا العدد (٣ ونصف) نجده في أشكال مختلفة: زمن وزمنان ونصف زمن، ثلاث سنوات ونصف السنة، ٤٢ شهرًا، ١٢٦٠ يومًا. كما يدّل العدد ١٢ على

إسرائيل القديم وإسرائيل الجديد، والعدد ٤ على الكون بأقطاره الأربعة، والعدد ١٠٠٠ على كميّة كبيرة جدًا. ويمكن أن نضرب هذه الأرقام بعضها ببعض، مثلاً: ١٠٠٠× ١٢ × ١٢= ١٤٤٠٠٠. ويدلّ القرن على القوّة، والشعر الأبيض على الأزليّة، واللباس الطويل على الكرامة الكهنوتيّة، والحزام من ذهب على سلطة ملوكيّة.

يستعمل أيضًا كتاب الرؤيا لغة الخلق، أي الميثولوجيا القديمة، لكي يتكلّم عن الآخرة. وقد اعتُبر هذا الاستعمال انقلابًا في الأدب الرؤيوي (خاصة مع حزقيال)، فالميثولوجيا القديمة التي استُعملت للتعبير عن الخلق تُستعمل «الآن» للتعبير عن الآخرة.

وتجدر الملاحظة إلى أنّ تتابع الأحداث في كتاب الرؤيا ليس زمنيًا، بمعنى أنّه ليس لدينا تتابع من يوم إلى آخر ومن سنة إلى سنة، والوصلات اللغويّة «ثمّ» و«بعد» ليست زمنيّة في الأدب الرؤيوي. ففي هذا الأدب لدينا «مشاهد»، أي أنّك تنظر إلى الحدث الواحد من زوايا مختلفة. وقد برزت مشكلة «الألفيّة» منذ بداية الكنيسة وهي تقول إن المسيح يأتي ثمّ يملك ألف سنة، ثمّ تأتي الآخرة وقيامة الموتى، معتمدين بذلك على رؤيا ٢٠ و٢١ بشكل خاص، نتيجة أخذ تتابع الأحداث في الكتاب على أنّه تتابع زمنيّ.

+ خلفية كتاب الرؤيا:

يظهر من نصّ كتاب الرؤيا أنّ الوسط الذي يتوجّه إليه الكاتب هو وسط هلّيني غير يهودي مع أقلّية مسيحية من أصل يهودي. كما يمكن رسم صورة عن الوضع الاجتماعي في الكنائس التي يتوجّه إليها، إذ يظهر أن المسيحيين انخرطوا في الحياة التجارية مع «بابل المدينةالقويّة»، وصاروا أغنياء (رؤ ١١:١٨). ولكن كان على المسيحيين أن يضعوا علامة الوحش (٦٦٦) حتى يستطيعوا أن يشتروا ويبيعوا (رؤ ١٣: ١٦–١٨).

يتبيّن لنا من الكتاب نفسه أنّ المسيحيين معرّضين لمشاكل عدّة ومن كافة الجهات. في الداخل هناك معلّمون كذبة يهدّدون وحدة الكنائس (رؤ٢: ٢،٤،١٤–١٥، ٢٠)، وهناك كلام على فتور في الإيمان (٢:٤–٥؛ ٣: ١٥–١٦)، وبعض الجماعات ضعيفة (٣:٨) و«مائتة» (٣:١). أمّا في الخارج، فالكنائس تحت ضغط خطر الحرب (٦: ٣–٤)، والتضخّم الاقتصادي (٦: ٥–٦)، والقمع من الجانب اليهوديّ (٢: ٩–١٠؛ ٣–٩). غير أنّ القوّة المسيطرة في آسيا الصغرى هي الوحش الكريه، أي الإمبراطور الروماني (١٣:١٢؛ ١٣:١٠)، وأتباعه (١٣:١١–١٧؛١٦:١٣–١٤؛١٩–٢٠) الذين ينشرون عبادة قيصر على أنّها اختبار لولاء كلّ المواطنين لقيصر. كان في الكنائس المذكورة في كتاب الرؤيا أماكن عديدة مكرّسة لهذه العبادة. ففي أفسس مثلاً كان هناك تمثال للإمبراطور دومتيانوس في هيكل القيصر يبلغ حجمه ستّة أضعاف الحجم البشري، كما كانت إزمير مركز عبادة القيصر.

الخلفيّة التاريخية توضحها الرسائل إلى الكنائس السبع. فالمسيحيون في ضيق (٢:٩)، ويُلقون في السجون (٢:١٠)، وقد قتل أحد الشهداء (أنتيباس في رؤ ٢: ١٣؛ أنظر أيضًا ٦: ٩–١١)، وساعة التجربة سوف تأتي إلى العالم كلّه لتجرّب الساكنين على الأرض (٣: ١٠).

ضرر، بل بذواتنا، إذ نُهيِّئُ لنا عذاب الجحيم الهائل.

فأرجوكم تفهُّمَ هذه الحقيقة، لكي نتناسى تماماً ما سبَّب لنا الناس من ظلم وألم ومشقّة. لنتحاشَ الحقد. لنعتبر أنّ لنا في الغفران مكسباً أعظم، فضلاً عن طمأنينة النفس التي تنجم عنه، حينما نمثُلُ أمام الديّان الأسمى. فلنعلم خاصة اننا، بمصالحتنا مع من أساؤوا إلينا ننال الغفران عن خطايانا الشخصية.

اغفروا بعضكم لبعض و«لا تدينوا لئلا تُدانوا» (متى ٧:١١). إن كنت تدين الآخرين قاصداً الخير لهم فالأولى بك أن تفكر بنفسك أولاً لأن خطأك أوضح وأكبر. وإذا تهاونت مع نفسك فهذا دلالة على أنك تدين أخاك، لا لإصلاحه، بل قسوةً وبغضًا. أما إذا كنت تريد أن تشينه، أو إن كان لا بدَّ من دينونة، فدع ذلك لبريء لم يفعل خطيئة لا أنت! إنك لم تخرج الخشبة التي في عينيك بل لا تراها أبدًا ولا ترى القذى الذي في عين أخيك فقط بل تدينه وتجتهد أن تنزعه من عينه، فأنت بذلك كمن لا يكترث لدائه العضال ويوبّخ غيره لعارض بسيط اعتراه. فإذا كان عدم الإنتباه لخطيئتك شرًا عظيمًا فلا ريب أن الشر أعظم في دينونتك الآخرين.

القديس يوحنا الذهبي الفم